رباطا بالمقس واسره الفرنج في عكا وهو اليها فافتكه السلطان صلاح الدين
بعشرة الاف دينار وتوفي اول رجب سنة سبع وسبعين وخمسماية ودفن بسفح
الجبل المقطم في القرافة ومات صلاح الدين يوسف لم نخلف في خزاينه من
الدراهم والدنانير سوى سبعة واربعين درهما لا عقارا ولا ملكا ولا بستانا ولا قرية
فعليه رحمة ربه وقد افرد سيرته بالتصنيف جماعة من العلما والزهاد والادبا وعمل
الشعرا فيه مراثي كثيرة من ذلك قصيدة للعماد الكاتب مايتان وثلاثون بيتا اولها

شمل الهدى والملك عم شتاته ۵ والدهر ساء واقلعت حسناته
بالله اين الناصر الملك الذي ۵ لله خالصة صفت نياته
اين الذي مازال سلطانا لنا ۵ ترجى يداه وتتقى سطواته
اين الذي شرف الزمان بفضله ۵ وسمت على الفضلاء تشريفاته
اين الذي عنت الفرنج لباسه ۵ ذلا ومنها ادركت ثاراته
اغلال اعناق العدا اسيافه ۵ اطواق اجياد الورى منّاته

ثم توفي الملك العزيز عثمان ابن صلاح الدين وكان نايب ابيه بها
في حياته مدة اشتغاله بفتح البلاد الشامية واعطيت دمشق لاخيه الملك الظاهر
غياث الدين غازي واقام عثمان خمس سنين وعشرة اشهر وتوفي في المحرم سنة
خمس وتسعين وخمسماية وعمره سبع وعشرون سنة ودفن بداره بالقاهرة
ثم نقل لتربة الامام الشافعي قبل بنا القبة ووقع له مع اخيه امور يطول ذكرها
وكانت سيرته حسنة حتى انه ضاق ما بيده ولم يبق في خزاينه درهم ولا دينار فجاه
رجل يسعى في قضا الصعيد بمال فامتنع وقال والله لا ابيع دما المسلمين واموالهم
بملي الارض ذهبا وسعى اخر في قضا اسكندرية باربعين الف دينار وحملها اليه فلم
يقبلها ثم توفي الملك المظفر محمد بن عثمان المذكور وعمره تسع سنين
واشهر بعهد من ابيه فاقام سنة واحدة وشهرين وعزل لصغره في جمادى عشري
شوال سنة ست وتسعين ووقع له مع عمه العادل امور كثيرة حاصلها انه
استفتى الفقها في صحة سلطنته لكونه صغيرا ابن عشر سنين فافتوا بان ولايته لا تصح
فنزعه وتولى هو مكانه ثم توفي الملك العادل سيف الدين ابو بكر

محمد

محمد بن ايوب وكان يدعى له ولولده الكامل في الخطبة الى ان توفي سابع جمادى الاخرة
سنة خمس عشرة وستماية مات بالشام فصبره ولده ثم حمله لدمشق فدفنه بالقلعة
وفي ايامه سنة تسع وتسعين وخمسماية خرج اهل مكة على عادتهم للعمرة سابع
عشر رجب وكان ملوكها يومئذ طايفة من بني حسن يقال لهم الهواشم فاغتنم الفرصة
في ذلك اليوم الشريف قتادة بن ادريس صاحب الينبع جد حكام اشراف مكة
الان واستمرت بيده وبيد ذريته الى يومنا هذا ومضى اوليك لليمن وفي سنة اربع
وستماية انتقلت السلطنة من دار الوزارة بالدرب الاصفر الى القلعة بالجبل فاول من
سكنها الكامل نايبا عن ابيه احدى عشر سنة ونقل اليها اولاد العاضد واقاربه في
بيت في صورة حبس وكان بخيلا ومن قول ابن عنين فيه

ان سلطاننا الذي نرتجيه ۵ واسع المال ضيق الانفاق
هو سيف كما يقال ولكن ۵ قاطع للرسوم والارزاق

وقسم البلاد بين اولاده في حياته فجعل مصر للكامل محمد ودمشق للمعظم عيسى وديار
بكر وممالك الشرق للاشرف موسى وباقي اولاده كل واحد في مملكة واتفقوا كلهم اتفاقا
حسنا وصاروا كنفس واحدة وفي ايامه توقفت زيادة النيل ولم يبلغ سوى ثلاثة
عشر ذراعا تنقص ثلاثة اصابع وشرقت اراضي مصر الا الاقل وتبع ذلك فنا عظيم
وامتد نحو ثلاث سنين ووقع غلا عظيم سنة سبع وتسعين بحيث هرب الناس الى
الحجاز واليمن والشام والمغرب وكان الرجل يذبح ولده وتساعده امه على طبخه وشيه
واحرق السلطان جماعة فعلوا ذلك ولم ينتهوا وكان الرجل يدعوا صديقه لنضيفه
فيذبحه وياكله وامتلات الطرقات برمم الموتى وهلك اهل القرى بحيث ان
المسافر يمر بالقرية فيجد اهلها كلهم موتى اقول وقد شاهدنا قريبا من
ذلك سنة ثمانية وتسعين وماية والف وفي سنة ستة ومايتين والف وافتتح
العادل الخابور ونصيبين وسنجار ثم توفي الملك الكامل محمد
ابن العادل ابو الفتح ناصر الدين فاقام عشرين سنة وخمسة واربعين يوما
وتوفي بدمشق يوم الاربعا حادي عشرين رجب سنة خمس وثلاثين وستماية ودفن بقلعة
دمشق ومكث فيها اياما ثم نقل الى تربته التي انشاها شمالي الجامع الاموي

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)